'جومو كينياتا' وجهوده في النضال التحرري الكيني (1891-1978)

'Jomo Kenyatta' and his efforts in the Kenyan liberation struggle (1894-1978)

د/ كركب عبد الحق

جامعة تيارت- الجزائر kerkeb_abdelhak@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 31-10-2018 تاريخ القبول: 08-04-2020 تاريخ النشر: 31-05-2020

الملخص :

كانت القارة الإفريقية محل أحقر وأبخس المساومات في تاريخ العلاقات الدولية، وبلغت ذروتها في مؤتمر برلين الذي نظمه وقسمها وتركها لأبشع الأطماع الأوروبية الاستعمارية، وهي نتاج الاستغلال الأوروبي للقارة الإفريقية وشعوبها، هذا الأمر أعقبه بروز حركة التحرر الوطني بشكل متسارع مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية أرغم الدول الاستعمارية على إعادة النظر في تواجدها في القارة.

ومن أقطاب حركات التحرر في إفريقيا الذين ناضلوا من أجل تحرير شعوبهم ودافعوا عن قداسة أوطانهم وكانوا بحق أبرز العناصر الممثلة للنخبة في العالم الثالث ورمزا للحركات الوطنية، حيث كان هدفهم مناهضة الاستعمار والعمل على تحقيق الاستقلال الوطني الشامل، ومن الشخصيات الإفريقية البارزة التي سنقوم بدراستها، نظرا لمكانته القيادية ودوره في استقلال وطنه، وإنهاء الوجود البريطاني بها: 'جومو كينياتا' في كينيا، الذي المقاومة إلى مسلحة من خلال منظمة "الماو ماو" التي واجهتها بريطانيا بعنف، واستمرت المقاومة في النضال عن طريق أسلوب ثاني الكفاح المسلح، حيث فشلت السلطات الاستعمارية البريطانية في مشاريعها واضطرت بريطانيا للتفاوض في الأخير والاعتراف باستقلال دولة كينيا في 12 ديسمبر 1963، وأصبح الزعيم 'جومو كينياتا' قائد الحركة التحررية في كينيا وأحد أبرز الزعامات النضالية في إفريقيا.

الكلمات المفتاحية:

السياسة الاستعمارية؛ مصادرة الأراضي؛ الاستعمار البريطاني؛ المقاومة؛ الحركة التحررية؛ كينيا؛ جومو كينياتا؛ منظمة "الماو ماو".

Abstract:

Among the leaders of the liberation movements in Africa who fought for the liberation of their people and defended the holiness of their homelands and were truly the most prominent elements representing the elite in the third world and a symbol of national movements, where their goal was to oppose colonialism and work to achieve comprehensive national independence, and among the prominent African personalities that we will study, given For his leadership position and his role in the independence of his homeland, and the end of the British presence in it: 'Jomo Kenyatta' in Kenya, who resisted to armed through the "Mau Mau" organization which Britain faced violently, and the resistance continued to struggle through the second method of armed struggle, where the failed British colonial authorities in the projects and forced Britain to negotiate the latter and the recognition of the independence of Kenya on December 12, 1963 and became the leader 'Jomo Kenyatta' liberation movement in Kenya and one of the most prominent leaders of struggle in Africa leader.
Keywords: Colonial politics; land confiscation; British colonialism; resistance; the liberation movement; Kenya; Jomo Kenyatta; the Mau Mau organization; achieving national independence

مقدمة

شهد العالم الثالث المستعمر موجات متكررة من التحرر منذ مطلع القرن العشرين بفضل عوامل داخلية وخارجية، تأثرت بها، وركب رأس موجاتها طليعة من فطاحل الرجال والساسة هدفهم تحرير أوطانهم بفعل الهيمنة الاستعمارية، ومن أقطاب حركات التحرر في إفريقيا الذين ناضلوا من أجل تحرير شعوبهم ودافعوا عن قداسة أوطانهم وكانوا بحق أبرز العناصر الممثلة للنخبة في العالم الثالث ورمزا للحركات الوطنية نذكر أبرزهم: مصالي الحاج (الجزائر)، الحبيب بورقيبة (تونس)، علال الفاسي (المغرب)، جمال عبد الناصر (مصر)، عمر المختار (ليبيا)، محمد أحمد المهدي (السودان)، المختار ولد محمد ولد دادّاه (موريتانيا)، نيلسن مانديلا (دولة جنوب إفريقيا)، كوامي نكروما (غانا)، نامدي ايزكوي (نيجيريا)، باتريس لومومبا (الكونغو)، كوامي نكروما (غانا)، أحمد سيكاتوري (غينيا)، ليوبولد سيدار سينجور (السنغال)، نامدي ايزكوي (نيجيريا)، موديبو كيتا (مالي)، جومو كينياتا (كينيا)، وآخرون. ومن هذه الشخصيات الإفريقية البارزة التي سنتوقف عنها بالدراسة، نظرا لمكانته القيادية ودوره في استقلال وطنه: **'جومو كينياتا'**.

إذن، من هو 'جومو كينياتا؟ كيف واجه السياسة الاستعمارية البريطانية؟ ماهي مراحل كفاح الشعب الكيني ضد الغطرسة البريطانية؟ وكيف اضطرت بريطانيا للتفاوض والاعتراف باستقلال كينيا؟.

كل هذه الإستفهامات سنسعى إلى تسليط الضوء عليها والإجابة عنها، بعدما أستعرض بالشرح الوافر من خلال هذه الدراسة كلما تقدمنا في الموضوع.

أولا: جومو كينياتا: المولد والنشأة

ولد كينياتا في 1890 كان أبوه راعيا للماشية، وكان جده من أبيه من أطباء السحر من الذين يزعمون أن لهم القدرة على صناعة المطر، وترجع أصوله إلى قبيلة "كيكويو" تعلم جومو اللغة الانجليزية في مدارس البعثة التبشيرية الاسكتلندية، تلقى تعليمه الأولي بإحدى المدارس التبشيرية واعتنق المسيحية، إلا أن اعتناقه للمسيحية لم يحل دون تمسكه بالتقاليد الإفريقية، عمل في بداية حياته كتاجر، ثم عمل في إحدى الإرساليات الاسكتلندية في كينيا، مما أتاح له فرصة قراءة ما أصدرته الإرسالية من كتب ونشرات، الأمر الذي أهله للعمل ككاتب في العاصمة الكينية نيروبي.(1)

انضم عام 1924 إلى رابطة "كيكويو" التي طالبت بريطانيا بالتوقف عن الاستيلاء على الأراضي الزراعية للكينيين ولما كانت معظم القبائل الكينية تنتمي إلي قبيلة كيكويو الأكثر تضرراً من استيلاء المستوطنين على أراضيها، لذا أصدر كينياتا عام 1928 جريدة تتحدث باسم قبيلته، وانتخبه شيوخ القبيلة كممثل لها أمام السلطات البريطانية، وفي عام 1929 سافر كينياتا إلى بريطانيا لأول مرة وظل بها قرابة سنة واحدة عرض خلالها قضية بلاده وما يتعرض له شعبه من اضطهاد وظلم، وفي بريطانيا التقى كينياتا بعدد كبير من الأفارقة الذين كانوا يدرسون أو يعملون هناك، كما احتك بقادة النقابات العمالية البريطانية والقى عدة محاضرات أوضح فيها الأوضاع المأساوية لشعبه.

في عام 1930 عاد كينياتا إلى وطنه الأم ليؤسس مدرسة كينية ترسخ العادات والتقاليد الإفريقية بين مواطنيه، متصديا في ذلك لمعارضة المبشرين المسيحيين، وفي عام 1931 عاد كينياتا مرة أخرى إلى بريطانيا وظل بها لعدة سنوات درس خلالها الاقتصاد والعلوم السياسية سندا لمواصلة النضال والمطالبة بمزيد من الحقوق السياسية والاقتصادية لأبناء وطنه، في تلك الأثناء انتخب كينياتا رئيساً لاتحاد الأفارقة الذي كان قد تشكل من الأفارقة الموجودين بالمهجر، والذي كان يدعوا إلي ضرورة اتحاد الأفارقة وتعاونهم، وفي عام 1945 عقد الاتحاد مؤتمرا ناقش أوضاع الأفارقة ووسائل توحدهم، وكان حضور كينياتا مشرفا، مميزا، وفعالا.(2)

في عام 1946 عاد كينياتا إلى بلاده بما اكتسبه من خبرة سياسية، مركزاً جهوده في تطوير التعليم والعمل السياسي، وفي عام 1947 انتخب كينياتا رئيساً لإتحاد كينيا الإفريقي، مُعلناً هدفه في تحقيق برنامج إصلاحي واقتصادي وسياسي، ومُطالباً بحقوق الأفارقة فى استرجاع أراضيهم التي انتزعت منهم، فكان انتخاب كينياتا رئيسا للاتحاد سبباً محفزا في أن بلغ عدد أعضاءه مائتي ألف إفريقي، الأمر الذي دفع المستوطنين إلي استنفار الحاكم البريطاني لإيقاف نشاط الاتحاد، وفي أكتوبر 1952 أعلنت حالة الطوارئ في كينيا وألقي القبض على كينياتا وعدد من زعماء الاتحاد، ووجهت إليهم تهمة الشغب وتكوين جناح "ماو ماو" العسكري الذي اتهم بتنفيذ عمليات تصفية وقتل

للمستوطنين، ولحقتها محاكمة صورية حكم على كينياتا بالسجن سبع سنوات، وفي عام 1959 أخرج كينياتا من السجن ليبقى رهن الإقامة الجبرية(3).

بالرغم من سجنه إلا أن الشعب الكيني ظل يكافح من أجل الإفراج عنه ليواصل قيادة الحركة الوطنية الكينية، وتحت وطأة ما تعرض له المستوطنين من هجمات وعمليات استنزاف، اضطرت بريطانيا إلى إنهاء حالة الطوارئ فى يناير 1960 وعقدت مؤتمر المائدة المستديرة بلندن، والذي شارك فيه ممثلين عن الحركة الوطنية الكينية، الذي نتج عنه إجراء انتخابات المجلس التشريعي في كينيا في نفس العام والتي فاز خلالها حزب اتحاد كينيا الإفريقي بالأغلبية، إلا أن الحزب رفض تشكيل الحكومة إلا بعد الإفراج عن كينياتا، فقامت سلطات الاحتلال بتشكل الحكومة من بعض قادة الأحزاب الكينية الأخرى، وفي شهر أوت 1961 أفرج عن جومو كينياتا نهائيا من الإقامة الجبرية، وخلال عام 1962 تم وضع دستور جديد لكينيا، وإجراء انتخابات في عام 1963 انتخب جومو كينياتا رئيساً للوزراء، وبعد إعلان استقلال كينيا عن بريطانيا انتخب كينياتا رئيساً للجمهورية، تمكن من إعداد كوادر وطنية يُمكنها قيادة وتطوير دولته غداة الاستقلال. (4)

ثانيا: دولة كينيا تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية

نتيجة لقرارات مؤتمر برلين (1884-1885) شهدت القارة الإفريقية تكالب الدول الأوروبية إذ قسم القارة بشكل ينسجم مع مواقف الدول الأوربية، وأعطى المؤتمر اعترافا دوليا لموقف كان موجودا بالفعل، حيث بدأت الدول بعد المؤتمر بالتكالب على القارة الإفريقية بشكل عنيف وسريع فأخذت كل القوى تقدم ادعاءاتها للاحتلال والسيطرة على مختلف مناطق القارة(5)، فأصبحت كينيا في شرق القارة تحت النفوذ البريطاني حين اتجه البريطانيون إليها وتخفى تحت ستار الشركة البريطانية الامبريالية في إفريقيا الشرقية **(IBEAC/ Imperial British East)** منذ عام 1884 والتي كانت رائدة الاستعمار البريطاني، وفي عام 1895 استأجرت ملكة بريطانيا فكتوريا من سلطان زنجبار إدارة ساحل كينيا، ثم أعلنت كينيا كلها محمية بريطانية عام 1900 إلى غاية الاستقلال.(6)

لقد أجبرت الإدارة البريطانية الشعب الكيني على ترك أراضيه ثم حشره في مناطق لا يكفي إنتاجها حاجات القبيلة، فضلا عن نظام ضريبة الرؤوس وهو أحد نظم الضرائب، والهدف من ذلك هو توفير أكبر عدد من الأيدي العاملة الرخيصة لخدمة المزارعين المستعمرين الدخلاء، بالإضافة جانب السخرة التي يفرضها القانون على الأهالي فتحتم عليهم العمل لمدة شهرين دون أجر، وقد اضطر الكينيون الذين لم يستطيعوا دفع ضريبة الرؤوس إلى ترك مزارعهم فترة من الزمن وعرض أنفسهم على المزارعين المستعمرين بأجور أقل لسد الكفاف.(7)

كما بدأ البريطانيون بالتوسع والاستيطان في كينيا، واستولى المستوطنون على الأراضي الخصبة مما أحدث اصطدامات بين السكان الأصليين من قبائل الماساي(**MASAI**) والكيكويو (**KIKUYU**)، وقد استخدمت بريطانيا ضدهم وسائل العنف لإخماد معارضة أهل البلاد، وعملت على ترحيلهم من أراضيهم الخصبة وتركها للبيض(8)، وهذا ما حدث سنة 1904 و1911 حينما أجبرت هذه القبائل على ذلك، وإقصاء الأفارقة عن أراضيهم وعزلهم في منطقة خصصت لهم سميت « بالمعازل الوطنية »، وقد اعتبرت الحكومة البريطانية جميع أراضي كينيا ملكا للتاج البريطاني، وأصبح للحاكم العام الحق التصرف فيها، وزاد الضغط البريطاني على أهل البلاد خلال الحرب العالمية الأولى وأجبروا على العمل التعسفي الإجباري، فانتشرت المجاعة والأمراض وخراب الأراضي الزراعية.

ثالثا: جومو كينياتا وبداية النضال السياسي

على الرغم من العبودية التي فرضها البريطانيون على كينيا لم يتوقف الكينيون عن الكفاح والنضال المستمر ضد المستعمر البريطاني من أجل تحرير بلادهم، فمنذ 1922 ناضلت قبيلة الكيكويو ونددت بالممارسات الاستعمارية، كما انتقدوا الحكومة البريطانية في معاملتها لهم طيلة تواجدهم ببلادهم(9)، ونتيجة للتطورات التي شهدتها كينيا خلال الحرب العالمية الأولى نمت الحركة الوطنية وظهرت المنظمات السياسية التي تربط نشوؤها بالأرض وأحوال الفلاحين، كما ارتبطت هذه المنظمات بقبائل الكيكويو، وذلك لسببين هما:(10)

- إن قبائل الكيكويو تعد أكبر مجموعة قبلية في كينيا، حيث بلغ تعدادها في عام 1958 بأكثر من مليون ونصف مليون نسمة من مجموع سكان كينيا البالغ 5.9 مليون نسمة.
- انتشار الثقافة والتعليم بين قبائل الكيكويو أكثر من غيرها بسبب نشاط الجمعيات والروابط المختلفة في هذا المجال، ومنها جمعية مدارس الكيكويو المستقلة، وجمعية الكيكويو للتربية والتعليم، إضافة إلى ما قامت به المؤسسات التبشيرية والكنائس من إنشاء المدارس وتهيئة مستلزماتها.

وظهرت أول منظمة سياسية في كينيا حين كوّن هنري ثوكو في يونيو 1921 «جمعية شرق أفريقيا » أو « جمعية شباب الكيكويو »(11) وعضويتها مفتوحة أمام جميع أفراد الكيكويو، التي سعت إلى الحفاظ على حقوق الأفارقة في أراضيهم، وقد أثار نشاطها غضب السلطات الاستعمارية التي سارعت إلى إغلاقها في مارس 1922 ومصادرة ممتلكاتها، ونفي رئيسها 'ثوكو' من أراضي الكيكويو، أمام ذلك خرجت مظاهرات احتجاجية صاخبة ومنددة لذلك وحدثت صدامات بين المتظاهرين ورجال الشرطة التي قامت بإطلاق النار، وفرضت الحكومة حالة الطوارئ، وأرسلت بريطانيا لجنة للتحقيق في أسباب الاضطراب، فشكل الأفارقة جمعية الكيكويو المركزية في نفس العام لعرض وجهة النظر

الإفريقية والدفاع عن حقوق الأفارقة في الأرض ومقاومة المستوطنين البيض والتفرقة العنصرية. وقد حصلت هذه الجمعية على تأييد واسع خشيت منه السلطة الاستعمارية فهدد حاكم كينيا البريطاني الأهالي الذين يساندون الجمعية بالعقاب، وعندما وجد أن هذا التهديد لم يؤد غرضة دعّي في عام 1930 إلى اجتماع لرؤساء القبائل والزعماء المحليين وحذرهم من التعاون مع هذه الجمعية، وفي الوقت نفسه أصدر قرارا بمنع نشاطات الجمعية وتحريم أناشيدها الوطنية ورقصاتها التراثية واعتقال زعمائها، وقد ألغيت هذه الجمعية في أوائل الحرب العالمية الثانية بحجة اتصالها بالإيطاليين أعداء الحلفاء.(12)

وفي عام 1940 تشكل المجلس المتّحد(UNITED COUNCIL)، الذي ضم رابطة الكيكويو المركزية، وبعض المنظمات الأخرى في كينيا مثل « رابطة أعضاء الأوكامبا » و« رابطة تلال تينا »، وكان هدف هذه المنظمة الجديدة توحيد نضال الوطنيين في كينيا ضد الاستعمار.

وبعد أن تنبهت السلطات البريطانية لأهداف هذه المنظمة، بادرت بالقضاء على نشاطها، واعتقلت 23 من أعضائها، وفرضت حظرا على نشاط « رابطة الكيكويو المركزية » وهي أكثر المنظمات شعبية في كينيا، وأرسلت الآلاف من أعضائها إلى معسكرات السخرة، وذلك بحجة أن لها نشاطا هداما، وأن لها اتصالات بالزعيم النازي «أدولف هتلر ».(13)

ولم تتوقف السياسة الاستعمارية البريطانية عند هذا الحد بل تواصلت حين أجبر الكينيون على المشاركة في الحرب العالمية الثانية وجندوا للقتال في صفوف الحلفاء في إفريقيا وآسيا، كما أسهموا في المجهود الحربي للحلفاء بزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي عندما استغلت بريطانيا ظروف هذه الحرب للاستفادة من الأيدي العاملة الكثيرة والرخيصة، وقد تأثر الكينيون إيجابا بظروف الحرب وانتشار الأفكار الديمقراطية للمطالبة بحقوقهم السياسية، خاصة وأن الحرب أوجدت فئة من الأجراء الزراعيين والعمال الصناعيين الأمر الذي أحدث تغييرا عميقا في بنية المجتمع.

رابعا: سياسة 'جومو كينياتا' في تحرير بلاده

مع ظهور نخبة مثقفة ساخطة على السيطرة الاستعمارية، شكل في عام 1944 "اتحاد كينيا الإفريقي" وهو بمثابة جبهة وطنية متحدة ضمت الأفارقة من مختلف القبائل والمناطق والفئات والانحدار الطبقي والاجتماعي يجمعهم هدف واحد هو الحصول على الاستقلال، وبرز من زعمائه جومو كينياتا (JOMO KENYATTA). الذي أصبح رئيسا للإتحاد عام 1947 –كما أسلفنا ذكره سابقا– وقد امتد نشاط الاتحاد ليشمل مختلف مناطق كينيا، وحدد منهاجه بالسعي إلى: (14)

- تطبيق الحكم الذاتي بما يضمن للأفارقة إدارة شؤونهم، وتوسيع المجلسين التنفيذي والتشريعي ومشاركة الكينيين في هذين المجلسين بصورة فعالة.
- الإصلاح الاقتصادي بإيقاف تملك البيض للأراضي، والاهتمام بتطوير وسائل الزراعة، والري، وتحسين أوضاع الأجراء من العمال والفلاحين، والمساواة في الأجور بين البيض والأفارقة.
- الإصلاح الاجتماعي وبخاصة في مجالي الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي، مع التأكيد على توسيع التعليم ونشره في مناطق كينيا المختلفة.

حصل الاتحاد على التأييد الشعبي الواسع بحيث بلغ عدد أعضائه في عام 1950 أكثر من مائة ألف عضوا وامتدت فروعه وشعبه إلى مختلف مناطق كينيا، وازدادت أعمال المقاومة والكفاح المسلح ضد الاستعمار والاستيطان، فأثار البريطانيون لأول مرة كلمة ماو ماو **(MAU MAU)** كدليل على العنف والكفاح المسلح، وبدأت الصحافة البريطانية وأعضاء مجلس العموم يرددون هذه الكلمة التي أصبحت تدخل الرعب في نفوس المستوطنين، فما المقصود بالماو ماو؟(15)

يرى أحد علماء النفس أن الماو ماو هو تصريف أو مخرج لتوتر سيكولوجي عاطفي تنج عن الاضطراب والفشل الذي ساد حياة الأفريقيين وما شهدوه من عدم المساواة والظلم والتسلط الأجنبي، فهي اشتعال مفاجئ عن الغيظ والسخط الذي تراكم بشدة وكثافة في نفوس الكيكويو وعموم شعب كينيا نتيجة الضغط والاستغلال وخيبة الأمل واليأس الذي تعرض له من قبل شعب يدعي أنه ذو حضارة أرقى، لعل ذلك دفع إلى قيام تنظيم سري تزعمه كنياتا لمقاومة احتكار السلطة والمال والأرض والسياسة العنصرية المطبقة من طرف البريطانيين، فهي حركة شعب مظلوم امتهنت كل تقاليده ومؤسساته وضاقت الدنيا في وجهه، وقد حولت بريطانيا إلصاق التهم ضد الماو ماو بهدف إضعافها وعزلها بحجة قيامها بأعمال إرهابية وحشية بعيدة عن التمدن والرقي والحياة الديمقراطية السليمة، في وقت استخدمت فيه بريطانيا كل الوسائل القسرية (16) والاستفزازية، بما فيها مصادرة أراضي الأهالي بالعنف واستعمال القوة في تشريد المزارعين الذين اضطروا إلى الهجرة للمدن القريبة فلم يجدوا العمل وعاشوا حياة التشرد والخوف والكراهية، وسدت في وجوههم سبل الحياة التي اسودّت في عيونهم فلجأوا إلى الانتفاضة والمقاومة.

في خضم هذه الأحداث والمستجدات أسرعت الحكومة في سبتمبر 1952 إلى إصدار التشريعات لتقييد الحريات العامة، واعتقال كل شخص يشتبه به، فتم اعتقال جومو كينياتا وعشرين من قادة اتحاد كينيا الإفريقي في 21 أكتوبر 1952 والحكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة، أمام هذا الوضع أصدرت اللجنة المركزية للاتحاد بيانا في 28 أكتوبر طالبت فيه:

- الإفراج عن المعتقلين، وإطلاق الحريات الديمقراطية والسماح باستمرار نشاط اتحاد كينيا الإفريقي، وحرية إقامة الأحزاب والجمعيات والنقابات العمالية، وحرية الصحافة.
- إلغاء التمييز العنصري والتفرقة العنصرية، وإشراك أهالي البلاد في إدارة المؤسسات الحكومية، وفي القوات المسلحة، والمساواة أمام القانون.
- الإصلاح الاجتماعي عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الصحية، والتوسع في إنشاء المدارس وإصلاح التعليم .

لم تؤد الإجراءات القمعية إلى القضاء على المقاومة الوطنية، فقد عينت الحكومة الجنرال جورج ارسكين قائدا عاما للقوات البريطانية، وأعلنت حالة الطوارئ(17)، لكنها اضطرت في النهاية إلى إجراء بعض الإصلاحات الدستورية عام 1954 لزيادة تمثيل الأفارقة في المجلس التشريعي، وسمحت في عام 1960 بإجازة الأحزاب السياسية فأسس« الاتحاد الإفريقي الوطني الكيني » وترأسه جيشورو، وتضمن منهاجه نفس الأهداف التي تضمنها ميثاق اتحاد كينيا الإفريقي المنحل، وعاد كينياتا إلى رئاسته بعد خروجه من السجن، كما أسس تنظيم آخر بتشجيع من بريطانيا هو « الاتحاد الأفريقي الديمقراطي » برئاسة رونالد نجالا، ودعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر في لندن في يناير 1960 حضره ممثلون عن الأفارقة والمستوطنون والهنود وتقرر فيه منح كينيا الاستقلال بعد فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات، وقد أجريت انتخابات فاز فيها جومو كينياتا، وأعلن استقلال كينيا، وأعلن بعد ذلك قيام النظام الجمهوري فيها(18)، وتبعها حركات التحرير الإفريقية حتى تحررت كل أفريقيا وخروج المستعمر الغربي مدحورا. (19)

خامسا: انجازات 'جومو كينياتا' غداة الاستقلال

شرع في إعادة بناء بلاده على نمط جديد، يكرس للانتماء الوطني والإفريقي، حيث ألغى كل ما يرمز لحقبة الاستعمار البريطاني من شعارات وملصقات وتعاملات، واستخدم بدلًا منها شعارات وملصقات ومعاملات معبرة عن الهوية الكينية والإفريقية.(20)

مضى جومو كينياتا في مسيرة البناء والتعمير الداخلي لبلاده ولقارته الإفريقية، فكان أحد مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية في أديس أبابا عام 1963، وأحد حكماء وقادة إفريقيا، الذين كانت لهم رؤية ثاقبة لمستقبل القارة، ولم يتوقف عطاؤه وجهده ونضاله على مختلف الجبهات، التي تخدم قضايا شعوب إفريقيا ولو للحظة واحدة، حتى توفي عام 1978، ليترك من بعده صفحة مليئة بمواقف الصمود والتصدي للغزاة والمحتلين، والكفاح في سبيل وحدة القارة وعزتها وحريتها واستقلالها الحقيقي، بعد أن وضع قواعد وأسس دولة كينيا الحديثة.

الخاتمة:

تمكن الاستعمار الأوروبي من ارتداد الكثير من مناطق العالم، وإخضاعها له مهما كانت درجة عزلتها ومناعتها، ومقاومتها، وانغلاقها على نفسها بهدف السيطرة، تلك هي الظاهرة الاستعمارية ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية التي حفزت الدول الأوروبية على الاستعمار وأدت إلى سقوط معظم إفريقيا تحت سيطرتها فترة طويلة من الزمن نتج عنها بؤسها وشقاؤها و تخلفها عن ركب الحضارة والتقدم، كما حصل لدولة كينيا والهجمة الاستعمارية البريطانية عليها، حيث تعتبر كينيا مثلا صارخا على الاستعمار في أبشع صوره، التي كانت بريطانيا قد فرضت حمايتها عليها بشكل رسمي عام 1895م، إلى حين ظهور موجة التحرر لدى مستعمرات العالم الثالث وتناميها وتوسعها مع ظهور نخبة وطنية واعية أطرت الجماهير سياسيا وعسكريا، كما كان الحال مع 'جومو كينياتا' في كينيا الذي حوّل المقاومة إلى مسلحة من خلال منظمة "الماو ماو" التي واجهتها بريطانيا بعنف واستمرت المقاومة باستمرار 'جومو كينياتا' في العمل لإرباك الاستعمار، حيث فشلت بريطانيا في مشاريعها السياسية واضطرت في الأخير للتفاوض والاعتراف باستقلال دولة كينيا في 12 ديسمبر 1963، وأصبح الزعيم 'جومو كينياتا' قائد الحركة التحررية في كينيا دون منازع.

الهوامش:

1. الطيب (أبشر الطيب)، **قادة الاستقلال في شرق ووسط وغرب إفريقيا في القرن العشرين ودورهم في تحقيق السلام والوحدة الوطنية**، مقال على شبكة الواب من الموقع الالكتروني التالي: Dspace.iva.edu.sd
2. إذ كان النظام القبلي في الزراعة يعتمد على زراعة القبائل لقطعة معينة من الأرض وبعد أن تضعف قدرتها الإنتاجية تتركها القبيلة باحثة على قطعة أرض أخري أكثر خصوبة لتتركها بدورها عائدة مرة أخري لقطعة الأرض الأولي وهكذا، الأمر الذي شجع المستعمرين على ادعاء أن تلك الأراضي لا صاحب لها واعتبروها ملكاً للتاج البريطاني. وفي محاولة لتفنيد حجج بريطانيا في انتزاع أراضي الأفارقة في كينيا يقول كينياتا في كتابه الشهير "في مواجهة جبل كينيا": "إذا كانت الأم تحمل جنينها في بطنها تسعة أشهر ثم ترضعه عامان؛ فإن الأرض تطعم الإنسان طوال حياته وبها يدفن، وفي أعماقها توجد أجساد الأجداد وأرواح الأقدمين." ونظرا لهذه السياسة الاستعمارية البريطانية المثمثلة في مصادرة الاراضي وتشريد الفلاحين والغاء المنظمات القومية واغلاق المدارس، رد الشعب الكيني بعدة مقاومات وثورات قادها زعماء وطنيون، أكثر التفاصيل ينظر: زوزو (عبد الحميد)، **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا**، دار للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، ص ص(22-23).
3. مقال على شبكة الواب من الموقع الالكتروني التالي: alakam. Mam.com
4. موسي(فيصل محمد)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص ص(246-247).
5. عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)، **تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص 291.

6. عليو (محمد الشيخ)، محاكم القضاء الشرعي في جمهورية كينيا والتحديات التي تواجهها، **مجلة قراءات إسلامية**، العدد 15 محرم/ربيع الاول 1434-يناير/مارس 2013 مجلة ثقافية فصلية محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، ص ص(4-17).
7. بذلك قد حقق المستعمرون أرباحا خيالية باستغلال الأفريقيين، ليس في كينيا فحسب بل في كل أفريقيا، فضلا عن ذلك فقد حرم الأفريقي من أبسط حقوقه الاجتماعية وهو التعليم، لقد بلغت نفقات التعليم للطفل الأوروبي أكثر من مائة جنيه بينما لم تزد على جنيهين اثنين بالنسبة للقلة القليلة من الأطفال الأفريقيين الذين سمح لهم بتلقي العلم فيها، **أنظر:** السيد(محمود)، **إفريقيا والأطماع الغربية**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2009، ص 143.
8. أصبحت كينيا منطقة الرجل الأبيض بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى، أكثر التفاصيل في الموضوع ينظر:
9. القوزي(محمد علي)، **في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1426هـ/2006م، منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان، ص ص(64-65).
10. هريدي تسن(فرغلي علي)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الكشوف- الاستعمار-الاستقلال**، الطبعة الأولى، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مطبعة الجلال، العامرية الإسكندرية، 2008، ص ص(293-294).
11. حميدي(جعفر عباس)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، ص ص(134-135).
12. وقد أنشأت هذه الرابطة فروعا محلية في أنحاء البلاد، ووجهت حملاتها ضد نزع ملكية الأرض، وأخذت تطالب بإعادة الأراضي التي أصحابها من الوطنيين الإفريقيين.وفي عام 1922 تصدت السلطات البريطانية لقمع الثورة التي قادها « هاري توكو »، وزجت به في السجن في نيروبي، كما أمرت بإطلاق الرصاص على المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بإطلاق سراحه، فقتل الكثيرون وجرح أكثر من مائة من الوطنيين وبعد ذلك أعادت الرابطة تنظيم صفوفها تحت اسم « رابطة الكيكويو المركزية »، وأصبحت أهدافها تتمثل في وقف عمليات نزع ملكية الأرض، ومنح الحقوق السياسية للإفريقيين، وتمثيلهم في المجلس التشريعي، وفي الأجهزة الإدارية المحلية، وتحقيق المساواة في معاملة العمال والمستخدمين الإفريقيين، **أنظر:** حلمي محروس(إسماعيل)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية**، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، ص 360.
13. حميدي(جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 135.
14. حلمي محروس(إسماعيل)، المرجع السابق، ص 360.
15. حميدي(جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 136.
16. نفسه.
17. لقد كان من الأمور العادية التي تحدث كل يوم أن يزل البريطانيون بالقرى عقابا جماعيا فتدعها مدافعهم أو تمطرها طائراتهم بالقنابل من الجو وكأنهم في سباق للصيد، وليس أمام شعب عزل مسالم لا يهتم إلا بالحصول على قوت يومه. وكان البريطانيون يهاجمون المدن والمزارع ويجمعون الأفريقيين ثم يسوقونهم كالماشية إلى المعتقلات والسجون، وإذا تمكن بعضهم من الفرار إلى المناطق المجاورة أغاروا بدباباتهم وعساكرهم على هذه المناطق وأنزلوا بجميع أهلها الدمار والخراب وصادروا ما بها من حبوب وطعام وإذا ما تمكن أحدهم من الهرب إلى الجبال أو الغابات قامت قاذفات القنابل بالتفتيش عليهم وضربهم، ولقد سجلت البلاغات العسكرية أسبوعيا بعد أسبوع صفحة رهيبة من القتل المتعمد والمذابح ومن ذلك أن القوات البريطانية أظهرت شجاعتها وبسالتها في إحدى غاراتها على قرية مسالمة فقتلت مائة شخص، وقد وصف البلاغ

الحربي هذا النصر الفريد الذي سجله البريطانيون بأسلحتهم الأوتوماتيكية ضد الأفريقيين الذين لا يمتلكون سلاحا في العبارة التالية. الأسبوع الماضي كان من أنجح الأسابيع منذ بداية الطوارئ، قتل البريطانيون 102 أفريقيا، أي في 18 أكتوبر 1953م. وفي نوفمبر 1953 قام البريطانيون بعملية إبادة ضد الشعب الكيني حيث بلغ عدد القتلى من الأفريقيين 305 و49 من الجرحى والأسرى مما يؤكد أن المقصود من العمليات العسكرية الإبادة.ففي الربع الأخير من عام 1953م صدرت الأوامر إلى القوات البريطانية في المناطق المحرمة على الأفريقيين، باعتقال أي شخص تراه من الأفريقيين أو قتله إذا حاول الهرب، **أنظر:** السيد(محمود)، **أفريقيا والأطماع الغربية**، المرجع السابق، ص 146.

18. منذ عام 1955 وحتى استقلال البلاد حاول البريطانيون حمل الكينيين تارة بالسياسة وتارة باستخدام الشدة بقبول مطالب المستعمرين المستوطنين والذين هم في الحقيقة الأمر أصل البلاء وهم الذين أضعفوا من تقدم البلاد لجشعهم والسيطرة على الحكم، وحرمان الأفريقيين من مزاولة حقهم المشروع. ولقد اضطر البريطانيون إلى الإفراج عن الزعيم الكيني جومو كينياتا وهم يأملون في اتباع سياسة معتدلة ولكنه أصر على عودة الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الأفريقيين إلا أن البريطانيين لم يستجيبوا لمطالب الزعيم الكيني حتى أرغمتهم حرب التحرير الكينية، التي مكنت الشعب الكيني من الوصول إلى حريته وحكم بلاده بنفسه، **أنظر:** السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 146.
19. حميدي(جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 137.
20. السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 148.